إدارة الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه
لأزمة الردة والقضاء على المرتدين

The Rightly Guided Caliph Abu Bakr Al-Siddiq,
may God be pleased with him Management of the crisis of apostasy
and the elimination of apostates

إعداد

م. د. عبد الفتاح ممدوح عبد الله

تدريسي في وزارة التربية العراقية

Prepared by

Abdel Fattah Mamdouh

I teach at the Iraqi Ministry of Education

dbdalftahmmdwhbdallh@gmail.com

الخلاصة

تناول البحث الموسوم بـ «**إدارة الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ لأزمة الردة والقضاء على المرتدين**» ابراز جهود الصديق ﷺ في إدارته لأزمة الردة، فالبحث يبرهن على عظمة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ ، فقد جمع العظمة من أطرافها وكانت عظمته مستمدة من فهمه، وتطبيقه للإسلام وصلته بالله العظيمة واتباعه الشديد لهدي الرسول الكريم ﷺ، وكانت طبيعة البحث مقسمة على مقدمة وثلاثة مطالب : جاء المبحث الأول بعنوان حرب الردة وأسبابها، وكان المبحث الثاني يعنى عن توجيه القادة من المدينة المنورة الى مناطق المرتدين لاعادتها الى الإسلام، وقد كان المبحث الثالث بعنوان مواجهة المرتدين عسكريا بقيادة الصحابة رضي الله عنهم. وقد خلص البحث الى أن جميع المرتدين عادوا بعد القتال إلى الإسلام، ورأوا أن لا مناص من الرجوع، فعادوا من حيث قد خرجوا، وهم إما أن يكون رجوعهم خوفاً أو إيماناً. والمهم أنهم لم يثبتوا على ما هم عليه، وذلك بسبب القيادة العليا الحكيمة للصديق التي دارت عمليات الجبهات المختلفة بآن واحد.

الكلمات المفتاحية : أبو بكر ﷺ، حرب الردَّة، الإدارة، المرتدين.

Conclusion :

The research titled "Management of the Rightly Guided Caliph Abu Bakr Al-Siddiq, may God be pleased with him, for the crisis of apostasy and the elimination of the apostates" highlighted the efforts of Al-Siddiq in managing the crisis of apostasy. And its application of Islam and its connection with God Almighty and its strong followers of the guidance of the Holy Prophet, peace be upon him, and the nature of the research was divided into an introduction and three demands: in the introduction it dealt with the importance of the subject, its causes and problems, and the first topic came under the title of the war of apostasy and its causes, and the second topic was entitled directing the leaders from Medina to the areas of the apostates To bring it back to Islam, and the third topic was entitled Confronting the apostates militarily under the leadership of the Companions (may God be pleased with them) The research concluded that all the apostates returned to Islam after the fighting, and they saw that there was no way out for them to return, so they returned from where they had left, and they were either out of fear or belief. The important thing is that they did not stand firm on what they are, and that is because of the wise supreme leadership of Al-Siddiq, which conducted the operations of the various fronts simultaneously.

Keywords: friend, war of apostasy, administration, apostates.

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالبينات والهدى، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، والصلاة والسلام على أفضل رسله، وأشرف دعاته، سيدنا محمد ﷺ الذي ختم الله به رسله، فجعل سيرته قدوة لكل مؤمن في جميع شؤون الحياة، وختم بدينه الشرائع، فجعل رسالته أكمل الرسالات وأوفاها بحاجات الناس في مختلف بيئاتهم وعصورهم، وبعد:

فان حروب الردة كانت مرحلة خطيرة في تاريخ الاسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقد ارتدت اغلب القبائل العربية فتطلب ذلك اعدادا واخذا بالاسباب لمواجهة المرتدين، وفي الوقت نفسه عزم الخليف ابو بكر الصديق رضي الله عنه على ارسال بعث اسامة بن زيد رضي الله عنه تنفيذا لرغبة رسول الله ﷺ وتوجيهه مما اثر على وضع مقاتلي المدينة اذ لم يبقى فيها سوى عناصر القيادة، وبعض الرجال، ومع كل هذا، فقد أعلن أبوبكر رضي الله عنه القتال، والدفاع عن المدينة، ووصل في معاركه الأولى إلى ذي القصة والربذة، وقاتل المرتدين ودحرهم، وعادت وحدة شبه جزيرة العرب كما كانت في زمن الرسول ﷺ.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في إزالة الشبه التي أوردت على سياية الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه من حيث استخدمه للسيف في قراع المرتدين، ومن جهة أخرى استثمار حسن السياسة والإدارة لتلك الأزمة وكيف تم القضاء عليها رغم توسعها وانتشارها، ولعل في أسئلة البحث ما يعزز انكشاف تلكم المشكلة:

١. هل استخدام الصديق رضي الله عنه للسيف في جهاد المرتدين حق يكفله الدين.

٢. كيف تعامل الصديق رضي الله عنه من أزمة الردة وهل واجه الجميع مواجهة عسكرية.

٣. هل كانت أزمة الردة هي فقط في ترك ركن الزكاة وعدم أداء حقها أم أن حقيقة الردة كان نزعا لربقة الإسلام.

أهمية الدراسة :

إن هذا البحث يبرهن على عظمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويثبت للقارئ بأنه كان عظيماً بإيمانه، عظيما بعلمه، عظيما بفكره، عظيما ببيانه، عظيما بخلقه، عظيماً بآثاره فقد جمع الصديق العظمة من أطرافها وكانت عظمته مستمدة من فهمه، وتطبيقه للإسلام وصلته بالله العظيمة واتباعه الشديد لهدي الرسول الكريم ﷺ، إن أبا بكر رضي الله عنه من الأئمة الذين يرسمون للناس خط سيرهم ويتأسى بهم الناس بأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية

الصحيحة والفهم السليم لهذا الدين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولامتبرئ من زلة ووجه الله الكبير لاغيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسئول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء.

أسباب اختيار الموضوع:

كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع هو إبراز هذه الشخصية العظيمة من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعرفة الجانب السياسي والاجتماعي في ذلكم العصر الراشد، فالردة هي أخطر جريمة تهدِّد دين الإنسان وتنقضه لذلك قمنا بتقسيم دراستنا على ثلاث مباحث :

المبحث الاول أسباب الردة وبداية المواجهة.

المبحث الثاني: توجيه القادة من المدينة المنورة الى مناطق المرتدين لاعادتها الى حظيرة الاسلام.

المبحث الثالث: مواجهة المرتدين عسكريا بقيادة الصحابة رضي الله عنهم

ثم ختمت الدراسة بأهم النتائج.

ومن الله نستمد العون ونسأله سبحانه التوفيق والسداد.

المبحث الاول

حرب الردة وبداية المواجهة

المطلب الأول: أسباب الردة:

ظهرت الردة عن الإسلام في شبه الجزيرة العربية مع تسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمور الخلافة، ولم تسلم من هذه الفتنة سوى مكة والمدينة والطائف وقد أصاب الارتداد أكثر ما أصاب تلك البقا ع التي كانت بعيدة عن جو المدينة والحضارة والعلم. وقد انقسم المرتدون إلى ثلاثة أقسام.

قسم امتنع عن دفع الزكاة مع الإصرار والعزم على القتال إن أجبر على دفعها(١).

والثاني أعلن الردة الكاملة كالمتبنئين أمثال طليحة بن خويلد الأسدي في بزاخة، والأسود العنسي في صنعاء، ومسيلمة الكذاب في اليمامة،

والقسم الثالث أعلن الانفصال الكامل عن جسم الدولة أمثال لقيط بن مالك بعُمان، والنعمان بن المنذر بن ساوى التميمي بالبحرين(٢).

وهناك فئة انتظرت إلى ما ستؤدي إليه الأقسام الثلاثة، فإن ظفروا كانت معهم، وإن ظفر أبو بكر رضي الله عنه كانت من عامة المسلمين(٣). وهذه هي الاسباب القريبة والرئيسة التي وقفت وراءها المرتدون.

أما الأسباب البعيدة يمكن إجمالها بالتالي:

١. **العصبية والقبلية :** اللتان لا تزالان متأصلتين في نفوس القبائل، ويمثلها قول طليحة النمري حين يقول لمسيلمة الكذاب: «أشهد أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلي من صادق مضر»(٤).

---

(١) ينظر: ابن حزم،علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت ٤٥٦ ه)، المحلي، (المطبعة المنيرية بمصر، ١٩٥٢)، ١٩٣/١١.

(٢) ينظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح (ت ٢٩٢ه)،تاريخ اليعقوبي، (مطبعة الغرى بالنجف، ١٣٥٨ه،) ١١٠/٢.

(٣) ينظر : ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر(ت٨٥٢ه)، فتح الباري بشرح البخاري، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٨ه/١٩٥٩م)، ٣٠٣/٥.

(٤) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠ه)، تاريخ الأمم والملوك،، (منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣ه/١٩٨٣م)، ٥٠٨/٢.

٢. **التنافس على الزعامة:** ما المتنبئون في زمن الرسول ﷺ إلا دليل على وجود زعامات دينية، تريد أن تبني لنفسها مجداً كما بناه الرسول ﷺ، وأن تتخذ من التنبؤ وسيلة للوصول إلى هذه الزعامة [١].

٣. **الانتماء:** كانت بعض القبائل تظن ان ارتباطها بالرسول محمد ﷺ، ارتباطاً قبلياً، وانتماءً شخصياً، فما أن توفي حتى رجع كل واحد إلى ارتباطاته القديمة، وإلى انتمائه لشيخ العشيرة ولزعيم القبيلة، واستغل بعضهم هذه الناحية فأعلن زعامته وقيادته، واتبعه الكثيرون، وهكذا فقد عادت الفوضى، واضطربت الأرض العربية، وتمزقت كما كانت في الماضي، وقالوا: «قد كنا ندفع أموالنا إلى محمد فما بال ابن أبي قحافة يسألنا أموالنا " [٢]، إن التحرر من العادات الجاهلية كان أمراً صعباً على الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم، فمنهم الذين تعودوا الربا والزنى وشرب الخمر ولعب الميسر وعبادة الأصنام وضرب الأقداح والتطلع إلى الغزو والأخذ بالثأر وغيره. فهم إن غادروا تلك العادات وتركوها فذلك تأسياً بزعامتهم، وخوفاً من البطش والقوة، وهم في نفسهم مما تركوه حاجة.[٣]

٤. **شيوع الأرض:** الاسلام جعل الارض عامة ينتفع منها كل الناس، فالأرض لله يورثها من يشاء، هذا هو القانون الذي ساد بعد أن توحدت الجزيرة العربية في ظل الدين الجديد، فالبدوي من قبل يقاتل من أجل الأرض، ولا سيّما أنها طيبة بمائها ومرعاها، فالغزو والسلب من أجل الاستيلاء على ما في الأرض والاستئثار بها. فالقبيلة القوية تدفع الضعيفة وتطردها عن الأرض، والحلف الكبير يهاجم الحلف الصغير ويستولي على أرضه. وهذا مما يفسر حرص مسيلمة الكذاب على الأرض في رسالته التي أرسلها إلى الرسول محمد ﷺ «إن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض.[٤]».

كل هذه الأسباب مردها إلى الإيمان المتردد، الذي لا يتجاوز اللسان، ولا يدخل القلب، فالناس القريبون من الرسول ﷺ قد اهتدوا بما تلقوه عن معلم الإيمان والعقيدة، وأما البعيدون فقد ظلوا يفدون إلى المدينة في المناسبات. وللرسول رسل وعمّال عند بعضهم، يوجهون ويعلمون تلك القبائل أشهرهم: معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري، وزياد بن لبيد البياضي[٥].

---

(١) ينظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٥٠٤،٤٨٢،٤٦٣.

(٢) الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦)، كنز الدرر وجامع الغرر، الكنز الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين، تحقيق : محمد السعيد جمال الدين، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ٣/١٥٧؛ الراوي، ثابت اسماعيل، تاريخ الدولة العربية (خلافة الراشدين والأمويين)، (مطبعة الإرشاد ببغداد ١٩٧٠)، ص ١٠.

(٣) ينظر : فارق، خورشيد أحمد، تاريخ الردة، مقتبس من الاكتفاء للكلاعي البلنسي، (معهد الدراسات الإسلامية، دهلي الجديدة، ١٩٦١)، ص١٣.

(٤) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه : د. صلاح الدين المنجد، دار طباعة مكتبة النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٥٦) ،ص٩٧.

(٥) ينظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٦٤.

المطلب الثاني : بداية المواجة من جبهة المرتدين

كانت المعارك الأولى بقيادة الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ شخصياً استغل المرتدون فرصة إرسال جيش أسامة بن زيد إلى البلقاء، وطمعوا في الاستيلاء على المدينة، والقضاء على الخلافة الاسلامية فيها ولزعامة الصديق ﷺ، وهي استمرار لما كان عليه الرسول ﷺ.

تجمعت القبائل وخاصة عبس وذبيان وغطفان وفزارة وأجمعوا على محاربة ومهاجمة المدينة، فأرسلوا وافدهم يفاوض بشأن ترك الزكاة، ولما رجع خاسئاً ذليلاً، عادوا فنظموا صفوفهم، وقسموا قبائلهم، وقرروا الهجوم المسلح على العاصمة وتقويض الحكم فيها، وأبو بكر ﷺ وحده مع مجموعة من المقاتلين بقوا في المدينة وكخطة دفاعية أمر أن يُستنفر الناس، وتحرس الأماكن الهامة، وتغطى الشوارع بالدوريات الثابتة والمتحركة، وتعير الانتباه إلى المسجد، وإلى مقر القائد الأعلى أبي بكر الصديق ﷺ الذي كان يسكن بالسنح[1]. وتشير النصوص التاريخية [2] ان «أبا بكر ﷺ بعد ما أخرج الوفد جعل على أنقاب[3] المدينة نفراً :علياً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود، وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم : إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً وأدناهم منكم على بريد. وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدوا. فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حسي، ليكونوا لهم ردءاً، فوافق الغوار[4] ليلا الأنقاب، وعليها المقاتلة، ودونهم أقوام يدرجون، فنبهوهم، وأرسلوا إلى أبي بكر ﷺ بالخبر، فأرسل إليهم أبو بكر ﷺ أن الزموا أماكنكم، ففعلوا. وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم، فانفش العدو، فاتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حسي، فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده كل نحي[5] في طوله، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء فعاجت بهم ما يملكونها، حتى دخلت بهم المدينة، فلم يصرع

---

(١) السنح على بعد ميل من المدينة، ينظر: ياقوت الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت ٦٢٦هـ) , معجم البلدان , مطبعة السعادة، ط١، (القاهرة ،١٩٠٦)، ٢٦٥/٣٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٧٣/٣؛ ابن الاثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري(ت٦٠٣هـ)، الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ،٢٣٢/٢، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (المطبعة الكبرى بمصر، ١٢٨٤هـ)، ٢٧٣/٢.

(٣) انقاب، طرق. ينظر ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر ببيروت، بدون تاريخ)، ٤٥١/٦.

(٤) المغوار : مقاتل كثير الغارات على أعدائه. ابن منظور ،لسان العرب، ٦٩/١٧.

(٥) نحي وأنحاء : ابن منظور، لسان العرب، ٩٦/٩.

مسلم ولم يصب».

تقرب المرتدون، ولكن الحرس تنبه لهذا التقرب، فأعلم أبو بكر، وكان مستعداً ومستنفراً قواته، فرد فوراً على القوات الغازية، وقاد جيشاً في آخر الليل جعل على ميمنته النعمان بن مقرن المزني، وأخاه عبد الله على الميسرة، وأخاه سويد على الساقة[١]، وهو في القلب، فصبحهم عند شروق الشمس، ففاجأهم فهربوا فتبعهم حتى وصل إلى «ذي القصة»[٢]، وفي هذه المعركة استخدم القائد الأعلى نوعاً من القتال هو القتال الليلي إذ يحتاج هذا النوع إلى المهارة في استخدام القوى والوسائط، ومن التدريب لكيلا يضل أو يضيع المقاتل، وعلى كل حال فإن جميع المقاتلين الذين اشتركوا في هذه المعركة كانوا على علم بهذه الأرض، ويعرفونها جيداً، وقد حقق هذا الجيش هدفه دون أن تمر به صعوبات التوجه أو استخدام الأعتدة والأسلحة، ومن المعلوم أن الليل يحقق المفاجأة التي تمت بزمانها ومكانها، وتفرق المرتدون في كل مكان، فوضع أبو بكر ﷺ في ذي القصة الحقها بحظيرة الاسلام بعد أن احتلها حرس إنذار، مهمته كشف العدو، واتجاه تقدمه، وإنذار القوات في المدينة، والدفاع عن هذا الخط حتى تصل القوات الرئيسة. ثم عين لهذا الحرس قائداً هو النعمان بن مقرن المزني، ثم عاد إلى المدنية[٣].وهذه واحدة من اهم صفات القيادة الناجحة لتكون قرارات القائد واوامره موضوعية ومدروسه بعيدة عن الانفعال والارتباك.

هدأت العاصمة بعد دحر هؤلاء المرتدين، واتخذت الإجراءات الدفاعية، ولما عاد أسامة من مهمته، وتهيأت الظروف المواتية، شكل القائد الأعلى جيشاً وهاجم المرتدين ثانية قبائل عبس وذبيان ومن معهم في منطقة «الربذة» بالأبرق. خرج كما خرج في الأول وبعدد قليل، ذلك لأنه أمر جيش أسامة أن يريحوا مع وسائط نقلهم، وحاول المحاولون من المسلمين ألا يفعل ذلك، وخاصة وقد حضر أسامة وجنده فقالوا: «ننشدك الله يا خليفة رسول الله. إن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب أمرت آخر»[٤]، فأبى ونهض بجنده فشكل منهم جيشاً على النظام الذي اتبعه عندما قصد «ذا القصة» وتحرك من المدينة إلى ذي حسى، ومرّ بذي القصة حتى انتهى إلى الربذة وهنا توقف قليلاً وأعاد تنظيم الجيش بما يتوافق

(١) ينظر : الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام،(مكتبة القدس بالقاهرة، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، ٣٥٠/١؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٦٦/٢/٢.

(٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٦٦/٢؛ غلوب، جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، (منشورات مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٣)،ص١٨٤.

(٣) ابن خياط، خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: الدكتور ضياء العمري، (مطبعة دار القلم ومؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص١٠٣،١٠١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٨/٢ ؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ٣٤٥/٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٧٩/٢،٤٧٨

مع المجابهة مع المرتدين اللذين كانوا بانتظاره، فقسم الجيش إلى مقدمة، وجناحين ايمن وايسر وساقة وقلب، وعين القادة الذين عينهم في المعركة الأولى، وأمر النعمان قائد الميمنة أن يلتف خلف جموع المرتدين الذي كان يقودهم الحارث وعوف زعيماً بني عبس وذبيان، فهاجم النعمان، وتحرك الجيش صفاً واحداً بكل أجنحته وتشكيلاته فتأخر المرتدون، فتبعهم أبو بكر ﷺ بجنوده، وضغط عليهم فهربوا فطاردهم، واستولى على ديارهم وأراضيهم، وجعلها فيما بعد حمى لخيل المسلمين، ومنع بني ذبيان ومن شاركهم منها، ولم يعدها لهم رغم مطالبتهم بها[1].

لقد استخدم أبو بكر ﷺ في هذه المعركة التحرك المستور اذ سلك محوراً بعيداً عن أعين الناس، كما استخدم الحرب الوقائية اذ قام بمجابهة المرتدين قبل أن يهاجموه في المدينة، وكذلك فإنه ناور بجيشه ونظمه طبقاً للقواعد والمبادئ المتبعة في التعبئة والتنظيم، ومما يلفت النظر أنه طبق مبدأ الالتفاف ومبدأ الزحف والمواجهة على طول الجبهة مع العدو. وعلى المستوى السياسي فقد حقق أبو بكر ﷺ بهاتين المعركتين ادخال الرعب في نفوس المرتدين، وأفهمهم أن جيش الخلافة لا يزال قوياً يرد الصاع صاعين، ويحقق الانتصار كما كان يحققه من قبل، كما رفع معنويات جيشه وشعبه وأن الدولة لا تزال منيعة الجانب، قوية التأثير. وعلى المستوى القيادي أشار إلى الذين تأخروا في بيعته، أو شكوا في قيادته وإمكانياته أنه قادر على القيادة في الظروف الصعبة، وفي الأحوال غير العادية، وبإمكانه تحقيق النصر على الأعداء بفئة قليلة ضد جموع كبيرة، وخرج بنفسه في المعركتين، وأراح الجيش الذي كان الناس ينتظرون قيامه لزجه في معارك الردة.

(١) المصدر نفسه، ٢/٤٧٩، ٤٧٨.

المبحث الثاني

توجيه القادة من المدينة المنورة
الى مناطق المرتدين لاعادتها الى حظيرة الاسلام

لقد عهد أبو بكر ﷺ إلي أحدَ عشرَ تشكيلاً لقتال المرتدين، وحدد لهم الأمكنة والعدو والاتجاه، والمهام العاجلة والآجلة، والأفضليات، وخط البدء، ونظام التعاون مع التشكيلات والألوية المشتركة، وخط النهاية، والأهداف المراد تحقيقها على التتابع، ونظام الأولويات فيها، وأحقية القيادة فيها إذا اجتمع بقيادة واحدة أكثر من قائد، والمهل والأزمنة للالتحاق أو لتنفيذ المهام أو التعاون إذ حدد لكل قائد الزمن من حين انطلاقه حتى تحقيق هدفه، والاحتمالات وطرق التصرف عند كل احتمال، وأسلوب الدعوة إلى القتال والكشف عنها وتوضيحها حتى لا يدع قائد التشكيل أي لبس أو غموض فيما يدعو إليه، والتشديد على من رفض الدعوة وأبى السلم والسلام أن يحرق في النار، ويقتل شر قتلة، وتسبى النساء والذراري بالتحري والكشف عن نية العدو فإن تبيّن بكل طرق البيان أنه مسلم غير مرتد فله الرحمة والكف عن إيذائه أو مسه بضر[١]، وقد استمع كل قائد تشكيل إلى هذه التوجيهات التي كانت واحدة لجميع القادة : «بسم الله الرحمن الرحيم. من أبي بكر ﷺ «خليفة رسول الله ﷺإلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى الى الضلالة والعمى، فإني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفر من أبي ونجاهده. أما بعد، فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده الى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب اليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه، حتى صار الى الإسلام طوعاً وكرهاً. ثم توفي الله رسوله ﷺ وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال : {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ }[٢]، وقال : {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الخُلْد أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الخَالِدونَ }[٣]، وقال للمؤمنين : {وَمَا مُحَمَّد الاَّ رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبْلِهِ

(١) ابن الطقطقي،محمد بن علي طباطبا(ت٧٠٩هـ) ،الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، راجعه ونقحه:عوض إبراهيم وعلي الجارم، (مطبعة المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٣٨)،ص٦٤؛ وجدي، محمد فريد،دائرة معارف القرن العشرين، (دارالمعرفة ببيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧١)، ٣٨/٢.

(٢) سورة الزمر، الآية ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٤.

الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ }[1]، فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله حي قيوم لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم... وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان... وإني بعثت اليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته الا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه الى داعية الله، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، ويقتلهم كل قتلة، وأن يسبى النساء والذرارى، ولا يقبل من أحد الا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله. وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم فنفذت الرسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود».[2]

وقد انطلقت التشكيلات التي هي جيوش مدافعة عن الدين والشريعة والدعوة الى الاسلام، وتحركت من منطقة التحشيد من ذي القصة حاملة التوجيهات والإنـذار الذي كان شديداً على المرتدين، رحيماً بالمسلمين.

١. تشكيل خالد بن الوليد. مهمته الانطلاق والتحرك باتجاه الشمال، والوصول إلى بزاخة[3]، وتدمير قوات طليحة بن خويلد الأسدي، ثم الانعطاف نحو الجنوب والوصول إلى البطاح وتدمير قوات مالك بن نويره هناك، ثم الانعطاف نحو الغرب والوصول إلى مكان تمركز قوات سجاح والقضاء عليها، ثم التوجه نحو الجنوب والوصول إلى اليمامة وتدمير قوات مسيلمة الكذاب، يسبقه ويعاونه إلى ذلك المكان عكرمة بن أبي جهل.

٢. تشكيل عمرو بن العاص. مهمته التحرك باتجاه الشمال الغربي، والوصول إلى قبائل قضاعة ووديعة والحارث، وإخضاعها لحكم المدينة.

٣. تشكيل خالد بن سعيد بن العاص.. مهمته التحرك باتجاه الشمال الغربي وبمحاذاة وموازاة تشكيل عمرو بن العاص من جهة الغرب، والوصول إلى الحمقتين وإلى بلاد الشام، قاطعاً تبوك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢/٧٠؛ فارق، تاريخ الردة،ص ٢٧.

(٣) بزاخة. تقع في الشمال من المدينة المنورة، وهي بين جبلي أجأ في الشمال الغربي وسلمى في الجنوب الشرقي،، وبزاخة ماء لبني أسد.ينظر، الحموي،معجم البلدان، ١/٤٠٨؛ أكرم، أ، سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي،(مؤسسة الرسالة ببيروت،الطبعة الرّابعة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ،ص ١٧٤.

٤. تشكيل عكرمة بن أبي جهل. مهمته التحرك باتجاه الشرق، والوصول إلى اليمامة، والقضاء على قوات مسيلمة الكذاب، ومتابعة التقدم نحو خليج عُمان، ثم الالتفاف بمجاورة ساحل بحر العرب، والوصول إلى حضرموت، وتنظيف ومقاتلة القبائل المرتدة في هذه الطريق الطويلة، لكن هذا التشكيل لم يستطع تنفيذ المهمة وكلف بمهام جديدة من قبل القائد الأعلى على ضوء توقفه والمواقف المستجدة.

٥. تشكيل العلاء بن الحضرمي. التحرك باتجاه الشرق، والوصول إلى البحرين، وإلى دارين، والقضاء على المرتدين هناك، ثم الاتجاه نحو الشمال.

٦. تشكيل شرحبيل بن حسنة. مهمته التحرك باتجاه الشرق والوصول إلى اليمامة، ومساعدة ومعاونة القبائل العربية الموجودة في تلك المنطقة، ومتابعة التقدم بصورة متوازية مع لواء عكرمة من الجهة الداخلية أي أن عكرمة من الجهة الساحلية، وشرحبيل من الجهة الداخلية، الوصول إلى كندة.

٧. تشكيل حذيفة بن محصن الغلفاني، مهمته التحرك باتجاه الشرق والوصول إلى هوازن وإخضاعها، ومتابعة المسير في عرض الصحراء، والوصول إلى دبا. وبعد النجاح التوجه إلى صُحار على ساحل خليج عُمان، ثم التقدم بمحاذاة الساحل، حتى يكون أقرب الألوية إلى البحر، والوصول إلى مهرة.

٨. تشكيل طريفة بن حاجز. مهمته التحرك باتجاه الجنوب الشرقي، والوصول إلى بني سليم وإخضاعهم.

٩. تشكيل عرفجة بن هرثمة البارقي. مهمته التحرك باتجاه الجنوب، ماراً من شرقي الطائف، ثم الانعطاف بربع دائرة نحو الشرق، والوصول قريباً من عمان، ثم الانعطاف نحو الغرب والوصول إلى اليمن، وعليه أن يجتمع مع حذيفة بغية التنسيق والتعاون.

١٠. تشكيل المهاجر بن أبي أميّة مهمته التحرك باتجاه الجنوب، والمرور بالطائف وصنعاء ثم الانعطاف مع ساحل اليمن باتجاه الشرق، والوصول إلى مكان قريب من مهرة.

١١. تشكيل سويد بن مقرن المزني. مهمته التحرك باتجاه الجنوب وبمحاذاة ساحل البحر ماراً بمكة وتهامه وبعض مدن اليمن، والوصول إلى عدن، يوازيه من جهة الشرق لواء المهاجر بن أبي أمية[1].

وتشير النصوص التاريخية بأن الصديق ﷺ ارسل كتابا الى امراء التشكيلات ومعهم العهود وهي تعد وصايا اساسية وهذا نص العهد : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر ﷺ خليفة رسول

(١) ينظر تفاصيل التشكيلات، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٢٥/٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٤/٢؛ ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، (مكتبة المعارف ببيروت،الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)،٧١٥/٦ ؛ ابن خلدو، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢٧٩/٢.

الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقى الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمه ،لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيوناً، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين، ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول» [1].

يؤكد هذا النص مرة اخرى مدى حرص أبو بكر الصديق ﷺ على روح تعاليم الاسلام المدافعة عن دين وشريعة مؤمنة بالله الواحد الاحد مصدقة لما جاء به خاتم الانبياء والمرسلين.

تحرك جيش الخلافة بقيادة خالد بن الوليد، وكان في الكفة الأخرى قائد المرتدين طليحة بن خويلد الأسدي مع قبائل بني أسد وغطفان وقوة صغيرة من قبيلة طيء، يساعده في ذلك كتائب لعيينة بن حصن من بني فزارة، وإن القوى والوسائط لكلا الطرفين، فالجيش الذي بأمر خالد بن الوليد ﷺ في أربعة آلاف مقاتل، أما الجيش المرتد فيقدر في سبعة آلاف مقاتل. سبعمائة مع عيينة من قبيلة فزارة، وثلاثة آلاف وخمسمائة من قبيلة بني أسد، وثلاثة آلاف من قبيلة غطفان والقبائل الأخرى، تحرك خالد بجيشه من ذي القصة باتجاه الشمال اذ تسكن قبائل طيء، وقبل الاقتراب منها أرسل عدي بن حاتم الذي أسلم وثبت على إسلامه، وكان زعيماً في قومه، فلما دنا منهم خاطبهم بالرجوع إلى الإسلام، والانفصال عن قوات طليحة، فأصاخوا إليه، وأرسلوا إلى مكان التجمع في بزاخة بحيلة لاستقدام المقاتلين من أهل طيء، ونجحت الحيلة، وانفصلت طيء عن الاشتراك في القتال إلا قليلاً منهم[2].

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/ص٢٢٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ٢/٢٣٤، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٢/٢٢٨.

(٢) انضم إلى الجيش العربي الإسلامي فيما بعد من قبيلة جديله ألف فارس، كما انضم إليه من القبائل الأخرى فئات لم يذكر المؤرخون عددها. ينظر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٤٨٣ وما بعدها.

وتقدم خالد ﷺ باتجاه بزاخة، لكنه قبل وصوله إلى منطقة تحشد قوات طليحة، أراد أن يخرج قبيلة جديلة من المعركة التي كانت حليفة قبيلة طيء. واستطاع الصحابي الجليل عدي بن حاتم ﷺ هذا الشيخ المؤمن بعقيدته وإسلامه أن يتدخل فيقنع خالد بن الوليد ﷺ أن يفصلها بسلم لا بحرب، وفعل فعلته، وتقدم فشرح لهم الموقف العام والخاص فبايعوه على الإسلام [١].

وبقي أمام خالد ﷺ ذلك التحالف الكبير من القبائل، فأرسل دورية استطلاع، لكي تأتي بالمعلومات، وتقدمت هذه الدورية باتجاه معسكر طليحة، لكنها اصطدمت بدورية استطلاع معادية فقتلت واحداً منها هو حبال أخو طلحة الذي ثارت ثائرته لمقتل أخيه، فأرسل على الفور قوة مسلحة قضت على دورية خالدﷺ، واقتربت طلائع الجيش العربي من المهاجرين والأنصار، [٢] ووصلت القوات ساحة المعركة في بزاخة.

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧١/٢.

(٢) كمال، أحمد عادل، الطريق إلى المدائن،(دار النفائس ببيروت، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ،ص ١٦٨.

المبحث الثالث

مواجهة المرتدين عسكريا بقيادة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

اصطف هذا الجيش بترتيب القتال في هذا السهل في الجزء الجنوبي منه وظهره إلى المدينة المنورة، وسلم خالد اللواء إلى زيد بن الخطاب، وعقد لباقي القبائل راياتهم،[١] ووزع قادته، فكان على الميمنة عدي بن حاتم الطائي، وعلى الميسرة زيد الخيل، وعلى الجناح الزبرقان بن بدر التميمي [٢]، كما اصطف بالمقابل قوات طليحة في الجهة الشمالية وأصبح الجيشان من بعضهما قاب قوسين أو أدنى، وظهر عيينة بن حصن في بني فزاره، وكان هو قائد المعركة المباشر، وطليحة كان مع شيطانه يتنبأ عن مستقبل المعركة. بدأت المعركة شديدة إذا قام جيش الخلافة بهجوم عام صاعق شمل الأجنحة والقلب على طول خط المواجهة، مما جعل الجيش المرتد يتراجع إلى الوراء، وثبت عيينة في بادئ الأمر، وشجع على الثبات، لكن ضغط قوات خالد التي تقدمت بسرعة وفوتت الفرصة الكبيرة والوحيدة على القوات المرتدة التي لم تستطع استعادة مواقعها، فخسرت جزءاً كبيراً من الأرض، وارتدت على أعقابها، فشعر طليحة بالهزيمة فركب فرسه وأردف خلفه امرأته وفرّ هارباً [٣]، وبهروبه تفككت صفوف القوات المرتدة، وضعفت معنوياتها فاستغل خالد هذه الفرصة ودخل في القوات المعادية، فلاذت بالفرار، فأسر وغنم الكثير[٤]، وكان من بين الأسرى عيينة الذي أرسله خالد إلى القائد الأعلى في المدينة، كما بث جنوده في مجموعات مطاردة وتنظيف، فاستولى على غمرة وأخضع أهلها، وعلى النقرة من بقايا بني فزارة وبني سليم، وانتشر خبر انتصار الجيش العربي الإسلامي بين القبائل في الشمال والشمال الشرقي فجاءت مذعنة تعلن ولاءها، وتعلن توبتها [٥]، وقالت: «ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن بالله ورسوله ونسلم لحكمه في أموالنا وأنفسنا».[٦]

قضى خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الجيوب المرتدة، وكان منها جيب كبير يقع في «ظفر» في الجهة الغربية لجبال سلمى إذ اجتمعت القبائل المنهزمة، وعدد من القبائل الأخرى من بني عامروهوازن وسليم،

(١) فارق، تاريخ الردة،ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) ابن أعثم، أبو محمد محمد بن أعثم الكوفي(٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية مجيد آباد الدكن، الهند، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ١٣/١.

(٣) فارق، تاريخ الردة ،ص ٣٦.

(٤) ابن أعثم، الفتوح، ١٥/١.

(٥) فارق، تاريخ الردة،ص ٤٢.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٠٧.

والتجأت إلى هذه المنطقة. كانت تقود تلك القبائل امرأة سميت سلمى ابنة مالك، جدّها حذيفة، وأمها أم قرفة المشهوران بعدائهما للإسلام. استطاعت سلمى أن تجمع من حولها أولئك الأوباش، وتقودهم في معركة ضد المسلمين. هاجم خالد ﷺ تلك القوة التي تجمعت في ظفر من الحركة دون أن يتخذ مواقع هجومية، أو يتقيد بنظام الصفوف، فخرقت قواته ذلك الجمع من الجانبين، وتعمقت في خرقها، والتفت من الخلف، لكن القوة ظلت صامدة، ومن عادة خالد في مثل هذه الحالات، وعندما يثبت عدوه يلجأ إلى قتل القائد. فشكل مجموعة قتالية انقضاضيّه، بقيادته هاجمت مقر قيادة سلمى، وبسرعة التف قائد المجموعة وانقض عليها فقضى عليها. وبقتلها لاذ المرتدون بالفرار، فتعقبهم الجيش العربي الإسلامي، فانتصر وغنم وأسر العدد الكبير(١).

وكتب خالد ابن الوليدﷺ الى الخليفة أبي بكر ﷺ كتاباً بخصوص بني عامر:» إن بني عامر أقبلت بعد إعراض، ودخلت في الإسلام بعد تربص ؛ وإنى لم أقبل من أحد قاتلني أو سالمني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كل قتلة، وبعثت إليك بقرة بن هبيرة ابن ابي عامر وأصحابه «فكتب اليه الخليفة «ليزدك ما أنعم الله به عليك خيراً، واتق الله في أمرك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون جد في أمر الله ولا تبنين، ولا تظفرن بأحد قتل المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره ؛ ومن أحببت ممن حاد الله أو ضاده، ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله «(٢)

يعود انتصار هذا الجيش في معركة بزاخة إلى التصميم على القتال، وإلى الأسلوب الابتكاري الذي اتبعه قائد هذا الجيش بنشر قواته على طول مواجهة القوات المحتشدة في منطقة القتال، والهجوم من الحركة باتجاه منطقة ظفر، وخرق صفوف العدو من اتجاهين، والالتفاف والتطويق، وإلى الشدة والحزم في القتال، وإلى الضغط الكبير والمتتالي على الجيش المعادي، دون أن يترك له فرصة إعادة تنظيم قواته، أو إمدادها، أو المناورة بها، وإلى مهاجمة مراكز القيادة التي بسقوطها يمكن أن يضعف المعنويات، ويترك المقاتلون أمكنتهم طلباً للنجاة، وبتجزئ القوات المعادية وخاصة عندما فصل وجزأ قبيلتي طيء وجديلة عن قوات طليحة، وكذلك جزأ القوات المجتمعة في بزاخة، وقضى عليها قسماً بعد قسم، وذلك لتحقيق التفوق، ولتدمير العدو بسهولة، وباستخدام الحيلة والخدعة عندما كلف عدي بن حاتم ليفرق بين الحلفاء، وليزرع بذور الخلاف والشقاق بين المتحالفين المرتدين(٣).

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٥٢/١؛ كمال ،الطريق إلى المدائن،ص ١٦٨.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٣/٣.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٠٧.

تحرك خالد ﷺ بجيشه من منطقة نقرة باتجاه البطاح[١]، وكان مما أوصى به أبو بكر ﷺ: إذا نزلتم منزلا فأذنوا وأقيموا ؛ فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ؛ ثم اقتلوهم كل قتلة ؛ الحرق فما سواه ؛ وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ؛ فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم ؛ وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة «[٢]، وعلى ما يظهر فإن مالك بن نويرة قائد العرب المرتدين لم يكن في نيته القتال، وإنما كان يريد أن يعبر عن رأيه أنه لا يريد دفع الزكاة، لكن هذا الأمر وهذا الزعم مرفوض من قبل خالد، فهاجمه دون أن يكون الطرف الثاني مستعداً لهذه المعركة، واستطاع خالد أن يقضي على مالك وعلى أتباعه ويقتلهم [٣]، كانت هذه المعركة من أبسط المعارك وأسهلها، ويعتبر دخول خالد إلى منطقة البطاح دخولاً لا مقاومة فيه ولا حرب تذكر سوى بعض المناوشات التي سرعان ما قضي عليها[٤].

استقر خالد بن الوليد ﷺ في منطقة البطاح ينتظر أوامر القائد الأعلى، بعد أن نفذ مهمته بكل كفاءة، جاءته الأوامر بالتحرك من هذه المنطقة باتجاه اليمامة[٥] لقتال مسيلمة، على شكل توجيهات عملياتية، متضمنة ككل التوجيهات المكان ووجهة المسير، والأهداف، والقيادة، ومعاملة الجند، والتصرف حيال العدو المرتقب وغير ذلك[٦].

شكل خالد جيشاً كبيراً وكان يتألف من لواء تشكيل خالد بن الوليد ﷺ، وقوات الأنصار والمهاجرين التي تخلفت قليلاً لظنها أن خالداً تجاوز حدود الأوامر المعطاة له من قبل الخليفة، وتشكيل شرحبيل بن حسنة. ثم أعطى التعليمات القتالية وأسند المهام إلى الوحدات مستنداً إلى توجيهات القائد

(١) البطاح، وهي تقع إلى الشرق من المدينة، والجنوب الشرقي من جبلي أجأ وسلمى، وهي منزل لبني يربوع من بني تميم، وفي هذه المنطقة ماء، وهي قريبة من بلاد فارس. وقد تأثر بنو يربوع من جيرانهم في العادات، وفي اعتناق الديانتين الزرداشية والنصرانية. ينظر، ابن حوقل، محمد بن حوقل النصيبي(ت٣٦٧هـ)، صورة الأرض، (مطبعة بريل بليدن، ١٩٣٨)، ١٩،١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٤٢/٢.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ٢١/١؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ٣٥٨/٢،٣٥٧؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر،٧٣/٢.

(٤) ابن أعثم ،الفتوح، ٢٢/١؛ ابن الأثير ،الكامل في التاريخ، ٣٥٨/٢؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧٤/٢؛ اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني(ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق : عبد الله الجبوري، (مؤسسة الرسالة ببيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ٩٥/١ ؛ كمال، الطريق إلى المدائن، ص ١٧١.

(٥) تقع اليمامة في الجهة الشرقية من المدينة المنورة، وهي قريبة من حدود فارس، وفي الطرف الشمالي من الجزيرة العربية، وهي في طريق النباج، وهي إلى الشمال الشرقي من البطاح حيث يتمركز الجيش العربي الإسلامي هناك بعد أن استولى على البطاح الحموي ،معجم البلدان، ١٣٥/٤؛ أكرم، سيف الله، ص ٢٠٦،٢٠٤.

(٦) ينظر هذه التوجيهات عند ابن الأعثم، الفتوح، ٢٧/١،٢٦.

الأعلى وإلى الظروف الراهنة، وقوة العدو وإمكانياته، تحرك هذا الجيش من منطقة البطاح[١] باتجاه وادي حنيفة من الجهة الجنوبية، حتى إذا وصل إلى ضفة الوادي فتح على صفوف منسقة في العمق مقابل القوات المعادية. وكان على الميمنة زيد بن الخطاب، وعلى الميسرة أسامة بن زيد، وعلى الجناح البراء بن مالك ﷺ، وعلى القلب قائد الجيش بالذات [٢]، وكان شعار الجيش: يا أصحاب سورة البقرة [٣]، وعدده حوالي عشرة آلاف مقاتل [٤]، وتحركت قوات المرتدين من اليمامة باتجاه الشمال الشرقي وعسكرت في سهل عقرباء[٥] على الضفة الشمالية لوادي حنيفة، ومقابل قوات خالد وكان على الميمنة المحكم، وعلى الميسرة الرجّال بن عنفوة وعلى القلب مسيلمة[٦]، وكان عدد هذا الجيش حوالي أربعين ألف مقاتل [٧].

أصبح الجيشان مستعدين للقتال صباح الأول من شوال العشرين من كانون الأول سنة ٦٣٢/١١ حرض قائدا هذين الجيشين، مقاتليهما، مذكرين بما يستحث الهمم، ويقوي المعنويات[٨].

قام جيش الخلافة بهجوم على طول الجبهة المعادية ضد الجيش العربي المرتد، وحاول هذا الجيش أن يخترق الصفوف، لكن صمود الجبهة أوقف كل تقدم، استغل مسيلمة فشل هذا الهجوم، فقام بهجوم معاكس نجح فيه إلى حد بعيد، اذ استطاع أن يزيح عدوه، وأن يحتل جزءاً من الأرض. وبدا على الجيش الإسلامي التقهقر والفوضى، حتى وصل خلف مواضعه القتالية التي احتلها من قبل أثناء تمركزه، وتبعه الجيش المرتد حتى وصل إلى مقر القيادة[٩]، في هذه المرحلة من القتال كان النجاح بجانب المرتدين، الذي ما لبث أن غرته مظاهر هذا النجاح، فباشر بالنهب والسلب، وترك مواقع القتال، وهذه فرصة أتاحت لخالد بن الوليد أن يعيد تنظيم قواته من جديد حسب التشكيل

(١) فارق، تاريخ الردة، ص ٧١.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٠٨/٢؛ كمال ،الطريق إلى المدائن، ص ١٧٢.

(٣) البلاذري ،فتوح البلدان، ص ٩٩.

(٤) أربعة آلاف مع تشكيل خالد، وثلاثة آلاف مع تشكيل شرجيل وألف من جديلة، وألفان من بقية القبائل. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/٩، أما الجنرال أكرم فقد قال، ثلاثة عشر ألف مقاتل. ينظر أكرم ،سيف الله، ٢٠٨.

(٥) سهل عقرباء يقع شماليّ وادي حنيفة، وخلف قرية جبيلة إلى الشمال. ووادي حنيفة يقطع هذا السهل من الشرق إلى الغرب، وعلى ضفتيه ارتفاعات يرى الناظر منها أمامه إلى الشمال وإلى الجنوب، وفي جنوب وادي حنيفة يقع تل صغير يشرف على سهل عقرباء. وفي هذا السهل أيضاً في الطرف الشمالي الشرقي منه تقع «حديقة الموت» وفيها الأشجار المثمرة، محاطة بسور منيع.ينظر، البلاذري ،فتوح البلدان،ص ١٠٠،٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٠٠/٢،٢٩٩.

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٠٨/٢ ؛ ابن أعثم، الفتوح، ٣١/١؛ فارق، تاريخ الردة،ص ٧٥.

(٧) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك، ٥٠٥/٢؛ وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ٣٠٧/٢.

(٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٠٩/٢ وما بعدها.

(٩) ابن أعثم، الفتوح، ٣٤/١؛ الراوي، تاريخ الدولة العربية،ص ١٥؛ كمال، الطريق إلى المدائن،ص ٧٣.

القبلي، الذي حركه في نفوس زعماء هذه القبائل، فأثار فيهم روح الحمية والأثرة [١].

وبعد الانتهاء قام فوراً بهجوم التثبيت والحركة إذ ثبت قائد القلب الكتلة الرئيسية من جيش مسيلمة، وقام قائد الجناح الأيمن زيد بن الخطاب فخرق الجناح الأيسر من ميسره الرجّال حتى وصل إلى مقر قيادته فقتله[٢] وحاول قائد هذا الجناح أن يتقدم ويخرق الصفوف لكنه لم يستطع، وكثرت عليه الضربات من كل صوب حتى سقطت الراية من يده، لقد ناضل من أجل الحفاظ عليها حتى قتل، فأخذ الراية سالم مولى أبي حذيفة وحماها، وتقدم المقاتلون وثبت هذا الجيش أمام الضربات المتتالية، وكثرت الخسائر من القتلى والجرحى من كلا الطرفين حتى جرى الدم في خندق سمي فيما بعد «خندق الدم»[٣].

هدأ القتال فترة، ثم استؤنف بالمبارزة، فخرج خالد ﷺ ينادي للمبارزة [٤]، فخرج إليه أبطال من الجانب المعادي، فدفف عليهم جميعاً، وكان بوده أن يصل إلى مسيلمة الذي ظل حذراً دون أن يقترب من ابن الوليد، وبحركة سريعة أراد أن يقضي عليه فهرب من أمامه، وبهذا الهرب صاح قائد الجيش الله أكبر، فتبعه المسلمون وهم يرددون هذا الشعار، فتراجع المرتدون أمام ضغط وهجوم المسلمين، ثم انقلب هذا التراجع إلى انسحاب، ثم إلى هرب، وهنا استغل الجيش الإسلامي هذه اللحظات، فبقي على تماس مباشر مع الهاربين، وتبعهم حتى ألجأهم إلى حديقة كانت في سهل عقرباء إلى الشرق منها، فدخلوها وأغلقوا بابها علها تحميهم من سيوف ورماح المسلمين [٥]، وقتل في هذه المطاردة العدد الكبير من المرتدين كما قتل قائد الميمنة «المحكم» وبهذا فقد بقي جيش مسيلمة دون قائدي جناحين، وتفككت عرى القيادة والانضباط، وسادت الفوضى[٦].

حاصر الجيش الإسلامي جيش المرتدين ضمن الحديقة [٧]، ومنع عنهم كل مؤونة، أو عتاد، أو سلاح، وحاول اقتحام الحديقة التي كانت مسوّرة، وبابها موصد يحرسه عدة مقاتلين [٨]، إن الحصار في هذه الحالة يتنافى مع سرعة الانتصار، ذلك أن الحصار يتطلب مدة طويلة، حتى

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٥١٣/٢؛ هيكل، محمد حسين، الصديق أبو بكر، (مطبعة مصر، الطبعة الثانية ١٣٦٢.)، ص١٧١، سويد، ياسين، معارك خالد بن الوليد، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٨١)، ص ١٦١،١٦٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥١١/٢؛ ابن أعثم ،الفتوح، ٣٥/١.

(٣) ابن أعثم، الفتوح، ٤٤/١، ٤٠؛ فارق، تاريخ الردة،ص ٧٦، الكاندهلوي، محمّد يوسف، حياة الصحابة،(دار النصر للطباعة بمصر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ٥٥١/١.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥١٣/٢.

(٥) ابن أعثم ،الفتوح، ٣٧/١، ٣٦.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام ٣٥٨/١.

(٧) ابن أعثم ،الفتوح، ٣٧/١؛ فارق ،تاريخ الردة، ٨٠.

(٨) سويد، معارك خالد بن الوليد، ص ١٦٢.

يستسلم العدو، لكن السرعة مطلوبة قبل أن يأتي التعزيز من بعض القبائل، وقبل أن يعيد المرتدون تنظيم صفوفهم، سيما الذين لم يدخلوا الحديقة. ورأى قادة الجيش الإسلامي ضمن هذه الاعتبارات اقتحام الحديقة والهجوم جبهوياً من الباب الموصد[١] وقاد البراء بن مالك [٢] مجموعة الاقتحام، وعلا السور، وقفز إلى داخل الحديقة، فقتل بعض الحراس، وفتح الباب فتدفقت جموع المقاتلين المسلمين، وخرقوا صفوف المرتدين، فتجزأت قواتهم، وسهل في هذه الحالة القضاء على البقية الباقية في هذه الحديقة[٣].

أصر مسيلمة قائد جيش المرتدين على متابعة القتال، وثبت أمام جيشه، وحث رجاله على التصدي، والدفاع عن الأحساب [٤]، لا تزال المعركة قائمة، فالجثث مرمية هنا وهناك، والدماء تغير لون الأرض، والجرحى يتألمون ويئنون، والأبطال من كلا الجيشين قد أنهكهم التعب، وسرى بهم الوصب، وأعلنت الشمس على الأصيل، والمقاتل لا يزال مواصلاً ومتابعاً، في هذه اللحظة تسلل وحشي من بين جنود المسلمين. واقترب رويداً رويداً من مقر قيادة مسيلمة، حتى إذا أيقن أنه أصبح في المدى المجدي من رمية حربته، هزّها، وصوّبها باتجاه الكذاب، ورماها فأصابت صدره، فوقع على الأرض ينازع سكرات الموت [٥]فأقبل أبو دجانه فدفف عليه، وفصل رأسه عن جسده [٦].

انتشر مقتل مسيلمة في جموع المقاتلين المرتدين انتشار النار في الهشيم، وقوّى المسلمون هذا النبأ، وساعدوا على تعميمه، وما من لحظات حتى انهارت قوى هذا الجيش، وتحطمت معنوياته بمقتل قائده ونبيّه، وانكفأ يقاتل عن ضعف. وفي هذا الوقت انقض المسلمون على من تبقى من المرتدين فأبادوهم، وكانت مذبحة كبيرة. ومقتلة عظيمة، ومعركة قاصمة، أعادت إلى الجزيرة العربية وحدتها وقوتها [٧]واستشهد كثير من الصحابة وحملة القرآن في تلك المعارك [٨]

لم يشعر الجيشان بنقص في التموين، ذلك أن الوسائط المحلية كانت كافية لإطعام المقاتلين، فقد كانت تلك المنطقة غنية بالطعام، وتتوفر فيها المياه الكافية، ولقد استفاد الجيش الإسلامي من الغنائم

---

(١) ابن أعثم ،الفتوح، ٣٨/١.

(٢) البراء بن مالك أخو أنس بن مالك. وقد كان جريئاً، لا يهاب الموت، ولا يحسب للشدة، ولا للخوف حساباً، وهو الذي أبلى وقتل من الأعداء في هذه المعركة عدداً كبيراً. ينظر الشيباني، محمد بن الحسن(ت١٧٩هـ)، شرح كتاب السير الكبير، إملاء محمد بن أحمد السرخسي، تحقيق : صلاح الدين المنجد، (معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مطبعة مصر، ١٩٥٧)، ١٠٠/١،٦٢.

(٣) غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ص ١٩٢.

(٤) ابن أعثم ،الفتوح، ٣٨/١.

(٥) ابن أعثم ،الفتوح، ٣٨/١ ؛ اليافعي، مرآة الجنان، ٩٦/١؛ هيكل ،الصديق،ص ١٧٥.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام،٣٥٨/١؛ غلوب، الفتوحات العربية، ص ١٩٤، فارق، تاريخ الردة، ص٨٠.

(٧) ابن أعثم، الفتوح، ٣٩/١ ؛ غلوب، الفتوحات العربية الكبرى،ص ١٩٦.

(٨) اليافعي، مرآة الجنان، ٩٦/١.

التي حصل عليها في المعارك السابقة قبل دخوله معركة عقرباء، ثم لما استولى على تلك المنطقة وأباد جيش المرتدين حصل أيضاً بالإضافة إلى المواد التموينية على السيوف والدروع والخيل، صالح خالد قائد الجيش العربي الإسلامي مجاعة الأسير الذي خدع خالداً بهذه المعاهدة التي تبقي السبي في الحصن فقط، وتأخذ ما عداه من الأعتدة القتالية، ورضي قائد هذا الجيش. ولو حق بنو حنيفة في الأرض أينما ذهبوا، وتعرضوا للسبي والقتل، وضربت عليهم الذلة والمسكنة [١].

اشتركت المرأة المسلمة في هذا القتال من كلا الجيشين، وكانت أم عمارة المرأة البارزة في هذه المعركة، التي حاولت التقرب من مسيلمة وقتله، لكن صاحب الحربة سبقها إلى ذلك، كما اشترك من الجانب الآخر النسوة اللاتي اعتصمن في حصون الحديقة [٢].

أولا: معركة قضاعة ووديعة:

تسكن هاتان القبيلتان في الشمال من المدينة في منطقتي تبوك ودومة الجندل، وقد ارتدتا، كما ارتد غيرهما من القبائل، تحرك عمرو بن العاص بتشكيله من المدينة وتصدى لهؤلاء المرتدين، وكان القتال غير نظامي، إنما يشبه قتال العصابات، لذلك كان الانتصار عليهم بسهولة سيما عندما انضم إلى هذا التشكيل شرحبيل بن حسنة الذي انتهى من توه في معركة اليمامة، وتحرك باتجاه الشمال الغربي بأمر من القائد الأعلى ليقاتلا معاً عدواً مشتركاً، وخلال أسابيع قضي على المناوئين، وعادت القبائل إلى دينها[٣].

ثانيا : معركة دبا:

تقع دبا في الجهة الشرقية من المدينة المنورة، على ساحل خليج عمان، وتعد عاصمة لُعمان، تسكنها قبيلة أزد بقيادة لقيط بن مالك الأزدي[٤]، الذي أعلن نفسه ملكاً متوجاً عليها بعد وفاة الرسول ﷺ فارتد هو وقبيلته. تحرك حذيفة ابن محصن من المدينة، والتقى مع لقيط في دبا، ودارت معركة لم تكن فاصلة، فانسحب إلى صُحار، وهي إلى الجنوب من دبا على ساحل الخليج، ساعد حذيفة في مهمته عكرمة الذي تصدى لقتال المرتدين في المناطق المجاورة، واستطاعا أن يعيدا الاستقرار والإسلام إلى تلك الديار[٥].

---

(١) ابن أعثم ،الفتوح، ١/٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ١/٤٠

(٣) فارق ،تاريخ الردة، ١٤٨، وما بعدها.

(٤) الطبري ،تاريخ الرسل والملوك، ٢/٥٢٨ وما بعدها؛ الحموي ،معجم البلدان، ٢/٤٣٦، ٤٣٥.

(٥) ابن واضح، تاريخ اليعقوبي،٢/١١٠؛البلاذري،فتوح البلدان، ص١٠٤؛الحموي، معجم البلدان، ٣/٣٩٣.

ثالثا: معركة مهرة:

تسكن قبيلة مهرة في الجهة الجنوبية من الجزيرة العربية على ساحل العرب، إلى الشرق من حضرموت، قريباً من قبيلة كندة، ارتدت كما ارتد غيرها. فتوجه إليها عرفجة بن هرثمة البارقي، فقاتلها وأخضعها بمساعدة عكرمة الذي تحرك إليها بتشكيله بعد الانتهاء من دبا[١].

رابعا: معارك البحرين:

تقع البحرين في الجهة الشرقية من الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربي إلى الشرق من المدينة [٢]سار إليها العلاء بن الحضرمي قائد أحد التشكيلات ليقاتل المرتدين لوحده في أماكن مختلفة من البلاد، وشعر السكان المحليون بهذا التحرك، فتحصنوا بحصن «جواثا»، فحوصروا عدة أيام، لم يتمكن خلالها هذا القائد من مهاجمة الحصن أو اضطراره للتسليم، حتى إذا سكر أهل الحصن فاجأهم واستولى على الحصن، وقتل العديد منهم، وتابع تحركه في البلاد، وإلى الشمال حتى وصل إلى «دارين» فأخضع جميع المرتدين، وعادوا إلى الإسلام[٣].

خامسا: معركة كندة:

كندة قبيلة تسكن في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية جنوبي اليمن، وتنتشر في اليمن وحضرموت ونجران [٤]، وكان الحاكم على هذا الجزء زياد بن لبيد البياضي الذي اتخذ مقره في «ظفر» عاصمة حضرموت. كانت كندة تتحين الفرص للإفلات من دفع الزكاة، وتحاول أن تجد طريقاً أو سبباً للخلاص من هذا القيد الذي لم يألفوه من قبل، وشجع ذلك زعماء القبائل الذين كانوا يتشوقون للعودة إلى الحياة القبلية، والزعامة العشائرية، فخرجوا عن سلطة المدينة وأعلنوا ارتدادهم، وتجمعوا في نقاط عسكرية متعددة بغية مهاجمة الحاكم الإسلامي، لكن زياد هاجم الرياض وهي أكبر معقل لهم، فقتل وأسر العديد منهم، وتفرق الباقون[٥].

تأثر الأشعث بن قيس الذي لا يزال على إسلامه حتى ساعة هجوم قائد التشكيل على معاقل المرتدين، فعارض السلطة، ونصب نفسه محامياً ومدافعاً عن المرتدين إذ أخذته حمية الجاهلية

(١) ابن أعثم ،الفتوح، ٧٣،٧٤/١؛ ابن كثير ،البداية والنهاية، ٣٣٠/٦؛فارق ،تاريخ الردة، ١٤٧.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٣٤٦/١ وما بعدها.

(٣) ابن أعثم ،الفتوح، ٤٨/١ ، وما بعدها ؛فارق،تاريخ الردة، ١٣٦وما بعدها، كمال، الطريق إلى المدائن، ص ١٧٥؛ الخضري،محمد، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء،(المطبعة العربية بمصر، بدون تاريخ)، ص٣٦.

(٤) فارق، تاريخ الرده،ص ١٥٩.

(٥) ابن أعثم، الفتوح، ٥٥/١ وما بعدها؛ فارق تاريخ الردة،ص ١٥٩ وما بعدها.

والقبلية، فجمع جموعه، وفك الأسرى المعتقلين بالقوة، وبدأ يحضر لشن هجوم ضد ابن لبيد [١].

شعرت القيادة العامة في المدينة أن هناك خطراً على تلك المنطقة وقائدها، فيما لو أتم الأشعث استقطاب جميع المرتدين في قبيلة كندة والسكان المحليين، وأن الكفة ستكون راجحة لصالح الأشعث، فأرسل القائد الأعلى تعزيزات، وأصدر أوامره على الفور إلى المهاجر بن أبي أمية أن يتحرك وينضم إلى القوات العربية الإسلامية في ظفر، وكذلك إلى عكرمة بن أبي جهل الذي لا يزال في «أبين» قريباً من منطقة الصراع، التحقت التعزيزات جميعها في الوقت المحدد، وتحشدت هذه القوات في ظفر بقيادة المهاجر، وأخذت تستعد لقتال المرتدين بقيادة الأشعث، وأدركت قيمة السرعة في الهجوم قبل أن يكتمل استعداد وتحضير الأشعث قائد القوات المرتدة، فأمر المهاجر بالهجوم العام على طول الجبهة، وفي النقاط التي يتجمع فيها المرتدون، فتأخر الأشعث وانسحب إلى حصن النيجر[٢]، فتبعته القوات الإسلامية، وضربت حصاراً على الحصن إذ سدت الطرق الثلاثة المؤدية إلى المدينة، ومنعت عنها كل الإمدادات، وحاول المحاصرون فك الحصار بإجراء عدة هجمات محدودة غير مؤثرة، وبقي الحصار مطبقاً بصرامة حتى نفذت التموينات، ونفذ صبر الأشعث ومن معه، فأرسل إلى قادة أحد التشكيلات عكرمة يستشيره في وضع حد لهذا الحصار، فوافق المهاجر وعكرمة على أن يستسلم الحصن، مقابل أن يصان دم الأشعث وعشرة ممن معه من قبيلته، وفتح باب الحصن، وخان جيشه، وتدفقت جموع المسلمين إلى داخل الحصن، وحدثت مقتلة كبيرة، ذبح فيها الكثير من الرجال، وجمعت الغنائم، وقيدت الأسرى، وسبيت النساء، وأعلم القائد الأعلى بهذا الانتصار[٣].

(١) ابن أعثم، الفتوح، ٦٠/١، ٥٩، ٥٥.

(٢) ابن أعثم ،الفتوح، ٧١/١، ٧٠، ٧٥.

(٣) الطبري ،تاريخ لأمم والملوك، ٥٤٧/٢ ابن أعثم ،الفتوح، ٨٤/١ غلوب، الفتوحات العربية الكبرى، ٢٠٦؛ الخضري، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، ص ٤٢، ٤١.

الخاتمة والإستنتاجات

من خلال القيادة الاستراتيجية في المدينة، والقيادة التكتيكية في الجهات والأماكن التي ارتدت فيها معظم القبائل، يلاحظ على هذه الحروب ما يلي:

١. أن القبائل المرتدة كانت تحارب مفككة ومجزأة إلا في معركة عقرباء- دون قائد، مما سهل لقادة التشكيلات الانتصار عليها، بفضل التنظيم العسكري للمقاتلين بتشكيلات قتالية. إن الذين ارتدوا كان أكثرهم من أهل البادية وبعيدين عن المدينة، وعن المركز الثقافي والعقائدي، وكانوا أقل من غيرهم شدة وبأساً في القتال، فإنهم إن تضايقوا تركوا المعركة، وإن ثبتوا فإن ثباتهم يكون قليلاً، فقتالهم غير متماسك، أسلوبهم الكر والفر، وغايتهم المال والغنيمة، لم يدخل الإيمان في قلوبهم، وأعلنوا من قبل الإسلام بألسنتهم.

٢. أن جميع المرتدين عادوا بعد القتال إلى الإسلام، ورأوا أن لا مناص من الرجوع، فعادوا من حيث قد خرجوا، وهم إما أن يكون رجوعهم خوفاً أو إيماناً. والمهم أنهم لم يثبتوا على ما هم عليه.

٣. أن زعماء المرتدين كانوا يقاتلون لمنصب، وأنهم استغلوا بساطة وسذاجة البدوي الذي عاش مع الطبيعة القاسية، ومع القبيلة التي لم يكد يتركها في زمن الرسول ﷺحتى عاد إليها في زمن الردة مثل الأسود العنسي في اليمن وصنعاء، ومسيلمة في اليمامة اللذين استطاعا أن يستوليا على قلوب الكثير من القبائل التي ينتمون إليها أو إلى غيرها، في حين أن قادة الجبهات والتشكيلات كانوا يقاتلون عن عقيدة ودفا ع عن الإسلام.

٤. أن أكبر معركة كانت في اليمامة ضد مسيلمة الكذاب الذي حشد فيها آلاف المقاتلين. وبانهيار الردة في هذه المنطقة تداعت باقي الثورات واستسلمت دون مقاومة تذكر.

٥. أن التعاون كان جلياً بين قادة التشكيلات التي كانت تتحرك باتجاه الخطر، كما فعل عكرمة في عُمان ومهرة، وكما حدث بين عرفجة وحذيفة في معركتي دبا ومهرة.

٦. أن القيادة العليا كانت قيادة حكيمة تدير عمليات الجبهات المختلفة بآن واحد، وهي التي كانت تحرك التشكيلات إلى مواقع الخطر كلاً أو جزءاً، شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً كمعركة كندة، وتعزيز زياد بتشكيلين كبيرين، وبقائدين مجربين هما المهاجر وعكرمة.

٧. كفاءة قادة التشكيلات على المستوى التكتيكي، وفي مسرح عمليات المعركة، حيث كانوا يظهرون الخفة والمرونة وقوة الاحتمال، والاستمرار في القتال، والسيطرة على المقاتلين، وتوجيههم إلى الاتجاهات الهامة والرئيسة كما حدث في معركة عقرباء، وإعادة تنظيم القوات بما يتلاءم مع الواقع، ومع جو المعركة كما فعل خالد بن الوليد حين نظم جيشه تنظيماً قبلياً ضمن مجموعات قتالية في معركة ضد مسيلمة.

٨. تطبيق الحصار بشروطه وكيفيته على الحصون إذ كان القادة يقطعون الطرق المؤدية إلى الجهة المحاصرة، كما حدث عند تطويق حديقة الموت وحصن النيجر. وكانت عمليات الحصار ناجحة حيث كانت تنتهي باستسلام الحصن، أو فتحه ومهاجمته من الداخل، والقضاء على من فيه من المدافعين.

٩. من الناحية التموينية، فإن مواد التموين كانت متوفرة وخاصة من المصادر المحلية والغنائم التي حصل عليها القادة العسكريون، وأولهم أسامة بن زيد الذي عاد من حربه، وهو يحمل معه الأموال والغنائم، وخالد بن الوليد الذي جمع من الغنائم الكثيرة في حربه مع طليحة بن خويلد الأسدي، ومع مسيلمة، فكانوا جميعاً يطبقون آية التخميس، أربعة أخماس الغنيمة تذهب إلى الجند، ويرسل بالخمس إلى أبي بكر الصديق ﷺ،

١٠. أن حروب الردة ثبّتت دعائم الحكم الإسلامي، وقوّت مركز أبي بكر الصديق ﷺ، وزادت ثقة الجيش والمواطن به، ودلّت على حسن رأيه، ونفاذ بصيرته، وأعادت للعرب وحدتهم وقوتهم، كما مهدت الطريق أمام فتح العراق والشام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. ابن أعثم: أبو محمد محمد بن أعتم الكوفي(٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية مجيد آباد الدكن- الهند، الطبعة الأولى ١٣٨٨/١٩٦٨.
٢. ابن الأثير: علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير(ت٦٠٣هـ)، الكامل في التاريخ: دار صادر- بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩.
٣. ابن الطقطقي: محمد بن علي طباطبا المعروف بابن الطقطقي(ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلاميّة، راجعه ونقحه..عوض إبراهيم وعلي الجارم، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، الطبعة الثانية ١٩٣٨.
٤. ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر(ت٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)
٥. ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(ت ٤٥٦ هـ)، المحلي، المطبعة المنيرية بمصر، الطبعة الأولى-١٩٥٢.
٦. ابن حوقل: محمد بن حوقل النصيبي(ت٣٦٧هـ) ،صورة الأرض، مطبعة بريل بليدن، ١٩٣٨.
٧. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الكبرى بمصر، ١٢٨٤.
٨. ابن خياط: خليفة بن خياط(ت٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور ضياء العمري، مطبعة دار القلم ومؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧/١٩٧٧.
٩. ابن كثير: اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ببيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤/١٩٨٤.
١٠. ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر ببيروت، بدون تاريخ.
١١. أبو خليل: شوقي، أطلس التاريخ العربي، دار الفكر بدمشق، بدون تاريخ.
١٢. أكرم: الجنرال. أ، سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الرّابعة ١٤٠٢/١٩٨٢.
١٣. أمين: أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة التاسعة ١٩٦٤.
١٤. البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين. ببيروت، ١٣٧٧/١٩٥٧.

١٥. حسين: طه، الشيخان، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.
١٦. الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ببيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٧. الخضري: محمد، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، المطبعة العربية بمصر، بدون تاريخ.
١٨. الدواداري : أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦)، كنز الدرر وجامع الغرر، الكنز الثمين في أخبار سيد المرسلين والخلفاء الراشدين، تحقيق : محمد السعيد جمال الدين، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م).
١٩. الذّهبي: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدس بالقاهرة، ١٣٦٧/١٩٤٧.
٢٠. الرّاوي: ثابت اسماعيل، تاريخ الدولة العربية (خلافة الراشدين والأمويين)، مطبعة الإرشاد ببغداد ١٩٧٠.
٢١. سويد: ياسين، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٨١.
٢٢. الشيباني: محمد بن الحسن(ت١٧٩هـ)، شرح كتاب السير الكبير؛ إملاء محمد بن أحمد السرخسي؛ تحقيق صلاح الدين المنجد؛ معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مطبعة مصر، ١٩٥٧.
٢٣. الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك(ت٣١٠هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي ببيروت ومؤسسة جوهر للطباعة والتصوير، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣/١٩٨٣.
٢٤. غلوب: جون باجوت، الفتوحات العربية الكبرى، تعريب وتعليق خيري حماد، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٣.
٢٥. فارق: خورشيد أحمد، تاريخ الردة، مقتبس من الاكتفاء للكلاعي البلنسي، معهد الدراسات الإسلامية، دهلي الجديدة، ١٩٦١.
٢٦. الكاندهلوي: محمّد يوسف،حياة الصحابة، دار النصر للطباعة بمصر، ١٣٨٩/١٩٦٩.
٢٧. كمال : أحمد عادل، الطريق إلى المدائن، دار النفائس ببيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٢/١٩٧٢.
٢٨. هيكل: محمد حسين، الصديق أبو بكر، مطبعة مصر، الطبعة الثانية ١٣٦٢.
٢٩. وجدي:محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة ببيروت،الطبعة الثالثة ١٩٧١.
٣٠. اليافعي: عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني(ت٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥/١٩٨٤.
٣١. اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغرى بالنجف، ١٣٥٨هـ.